

تاريخ القبول: XXXX/XX/XX

تاريخ الإرسال: XXXX/XX/XX

تاريخ النشر: 2025/04/30

الأنا الأنثوية والآخر الذكوري في رواية "مخالب المتعة" لـ "فاتحة
مرشيد"

**The Female Ego And The Male Other In The
Novel "Claws Of Pleasure" By Fatiha Murshid**

قمر تركي¹جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي الجزائر¹

kamar.tourki@univ-tebessa.dz.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الأنا الأنثوية والآخر الذكوري في رواية "مخالب المتعة" للكاتبة فاتحة مرشيد" كعمل نسوي تجلّت من خلاله قضية جريئة جدًا تمثلت في أنّ المرأة العربية استطاعت أن تبوح بما يختلج في نفسها من مشاعر وأفكار حول هذه القضايا الحساسة بشكل يبرر التمرد الجريء على سلطة الرقيب ومدى تقبل المتلقي العربي لمثل هذه القضايا. لا سيما قضية الجنس التي انبثق من خلالها ما يدل على الوعي والثقافة والإدراك لدى الكاتبة العربية، وقد برزت الأنا الأنثوية والآخر الذكوري في الرواية أيما بروز، ونجحت الروائية في تناول قضية شائكة لم تعد حكراً على المرأة فقط بل تعدّت الرجل وهي قضية "الدعارة الذكورية".

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الأدب النسوي، مخالب المتعة.

Abstract:

This study aims to examine the female ego and the male other in the novel "Claws of Pleasure" by Fatiha Murshid, as a feminist work through which a very bold issue was revealed, represented by the fact that the Arab woman was able to reveal the feelings within herself and ideas about these sensitive issues in a way that justifies the bold rebellion against the authority of the censor and the extent of the Arab audience's acceptance of such issues. Especially the issue of sex, through which evidence of the awareness, culture, and perception of the Arab writer emerged. The female ego and the male other appeared prominently in the novel. The novelist succeeded in dealing with a thorny issue that is no longer limited to women only, but has gone beyond men, which is the issue of "male prostitution".

Keywords: the ego, the other, feminist literature, the tentacles of pleasure.

المؤلف المرسل: قمر تركي، الإيميل: KAMAR.TOURKI@UNIV-TEBESSA.DZ

1. مقدمة:

تزايد الاهتمام في الفترة الأخيرة بظاهرة الكتابة النسوية أو الأدب النسائي العربي، وتصدت دراسات عديدة لتناول هذا الأدب من أجل الوقوف على خصوصية إبداع المرأة العربية، إذ جعلت من الرواية نافذة للبحث بهومها، منتقدة الآخر، والمتمثل عادةً في شخص الرجل الذي يحيل إلى سلطة ذكورية قمعية.

إن رواية "مخالب المتعة" للكاتبة المغربية "فاتحة مرشيد" من الروايات العربية التي تعكس مستوى كبيراً من التطور الذي حققته الكاتبة خاصةً فيما يتعلق بالانتصار الفني للموضوع الشائك اجتماعياً، وتندرج ضمن الروايات التي تعالج نتائج ظاهرة تُمثل عاملاً رئيساً من عوامل معاناة الشعب المغربي منذ عقود وهي ظاهرة البطالة، فهذه الرواية تعكس صورة واقع المجتمع المغربي الذي يعاني من

الرديلة والدعارة وذلك نتيجة البطالة حيث اتخذ الجنس وسيلة وملجأ للهروب من الواقع المعيش بهدف نسيانه والحصول على المتعة.

تتمثل مشكلة الدراسة في أن ظاهرة الأدب النسوي من الظواهر الأدبية اللافتة للانتباه في وقتنا الحاضر وما زال هذا المصطلح محلاً للجدل والنقاش في الأوساط الثقافية والأدبية، خاصة المجتمعات العربية بل يكاد أحياناً يصل إلى نقطة خلاف. تعد رواية "مخالب المتعة" من الأعمال الروائية التي تعالج واحدة من القضايا التي كانت مقصورة على المرأة ألا وهي متاجرة الرجال بأجسادهم من أجل الحصول على المال "دعارة الرجال"، ولعل هذه القضية من القضايا الجريئة التي سعت "فاتحة مرشيد" في تسليط الضوء عليها.

من أهم الدوافع الذاتية وراء اختياري هذا الموضوع هو شغفي الكبير بالرواية النسوية المغربية بعامة وروايات "فاتحة مرشيد" بخاصة، كونها تعالج قضايا تحررية واقعية وطرحها الجريء لها كما أنها تعالج قضايا راهنة تخص المرأة، بالإضافة إلى أن لدي دوافع موضوعية لاختياري تتمثل في الوقوف على "الأنا" الأنثوي و"الآخر" الذكوري في رواية "مخالب المتعة"، فاختياري لهذا البحث يستند إلى أصول ودوافع وذلك أن الأدب النسوي يعتبر عربياً ظاهرة حديثة على غرار الحال غربياً حيث ظهر خصوصاً خلال القرن العشرين ويعد من بين المصطلحات المثيرة للجدل.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي من أجل الوقوف على الأنا الأنثوي والآخر الذكوري في رواية "مخالب المتعة" للكاتبة فاتحة مرشيد، والتعرف من خلال نص الرواية على القضايا التي عالجتها الروائية من خلال فحوى العمل والذي يسلط الضوء على أهم أحد قضايا المجتمع المغربي باعتبارها جزءاً لا يتجزأ منه ولا ينسلخ عنه.

2. إشكالية الأدب النسوي:

يعتبر الحديث عن الأدب النسوي -في الواقع- حديثاً ذا طابع إشكالي في الساحة الأدبية والنقدية العربية؛ نظراً لعدم الاستقرار على مفهوم الأدب النسوي، وقبل الوقوف على مصطلح الأدب النسوي وإشكاليته بين النقاط لابد أن نتعرف على مفهوم النسوية.

1.2 تعريف النسوية:

إن النسوية هي "المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي "Feminism"، ولا شك أن البدايات الأولى لظهور مصطلح النسوية تعود إلى الحركات المطالبة بحقوق المرأة والتي نشأت في الدول الغربية، وبدأت بوصفها أسلوباً في الحياة الاجتماعية والفلسفية والأخلاقية تعمل على تصحيح وضع النساء الدوني في مجتمعاتهم"¹، ركز التعريف على المطالبة بحقوق المرأة وتصحيح أوضاعهم في المجتمع الغربي في ظل تمتع الذكور بالسيطرة الكاملة على المجتمع على كافة النواحي الاجتماعية والفلسفية والأخلاقية.

يعدّ مفهوم النسوية من أكثر المفاهيم المثيرة للجدل، حيث نجد النسوية عند "سارة جامبل" فتري "أن النسوية تعد من أكثر الحركات إثارة للجدل في القرن العشرين، وبأن تأثيرها يظهر في كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في مختلف أنحاء العالم، حيث أصبحت ملمحاً مألوفاً من ملامح الخريطة الثقافية، وعندما تذكر كلمة النسوية يعتقد الكثيرون أنهم يدركون تماماً ما تعنيه الكلمة، وقد يعرب البعض عن حماسهم لها، فلا يوجد اليوم إلا عدد قليل من النساء لديهن الاستعداد فعلاً للإعلان عن انتماءهن للنسوية"²، ويظهر تأثير النسوية في مختلف مجالات الحياة وفي كل أنحاء العالم، إذ هي حركة تعمل على تغيير هذه الأوضاع لتحقيق تلك المساواة الغائبة.

يمكن القول بأنه من الصعب بل من غير الممكن وضع تعريف جامع مانع للنسوية مما أدى إلى وجود العديد من الاختلاف في وجهات النظر فيما يتعلق بتعريف النسوية.

2.2 تعريف الأدب النسوي

ما ينطبق عل مفهوم النسوية ينطبق على الأدب النسوي فمن الصعب التوصل إلى تعريفاً جامعاً مانعاً للأدب النسوي؛ نظراً لأنه يحمل العديد من الدلالات، فهو مفهوم ضبابي دفع النقاد إلى عدم الاتفاق على مفهوم نقدي موحد، فنجد "زهرة الجلاصي" قد اختارت استعمال مصطلح "النص الأنثوي" بدلاً لمصطلح "الكتابة النسائية" مؤكدة التعارض بين المصطلحين من حيث الدلالة والمعنى، إذ أن مصطلح "النص الأنثوي" يعرف نفسه استناداً إلى آليات الاختلاف لا المميز وهو في غنى عن المقالة التقليدية مؤنث/ مذكر بكل محمولاتها الأيديولوجية الصدامية التي صارت اليوم تستنزف الجميع، فالنص المؤنث ليس النص النسائي، ففي النسائي معنى التخصيص الموحى بالحصص والانغلاق في دائرة جنس النساء، بينما ينزع المؤنث الذي نتراضى عليه، إلى الاشتغال في مجال أرحب مما يخول تجاوز عقبة الفعل الاعتباري في تصنيف الابداع احتكاماً لعوامل خارجة على غرار جنس المبدع³، وهنا تضيف "زهرة الجلاصي" مصطلحاً جديداً عبرت عنه بـ "النص الأنثوي" ورافضة مصطلح "الكتابة النسائية" فتقر بوجود عدة إشكاليات إذ يصعب أن نثير المؤنث دون أن يحضر النقيض أي المذكر، فقد رأت أنه لا معنى للفروق الجنسية بين المذكر والمؤنث لأن الذات الكاتبة تمثل الانسان بغض النظر عن جنسه.

3. مصطلح "الأدب النسوي" بين التيار المؤيد والمعارض:

أثارت قضية الأدب النسوي عند ظهوره في الساحة النقدية العربية الكثير من الجدل والمناقشات، فتارة كان يقابل هذا المصطلح بالرفض وتارة أخرى بالقبول، وأخرى تتوسط بين الرأيين، وكان لكل تيار مناصريه، وتتمثل هذه التيارات في:

1.3 التيار المؤيد للمصطلح:

يمثل هذا التيار مجموعة الكاتبات والمبدعات اللواتي قدمن ابداعات مميزة يدافعن فيها عن الأدب النسوي نحو الكاتبة "سلوى بكر" التي تقول "إن الهدف الأساسي من الكتابة النسائية هو إعادة الاعتبار وتحقيق التوازن النفسي، وثورتي جاءت من التناقض بين القيم والمفاهيم السائدة في المجتمع، وبين حقيقة الحياة وطرائق إدارة هذه الحياة، هذا التناقض هو الذي أدى بي إلى التأمل والتوقف ومحاولة ربط هذا التناقض وربط تجليات هذا التناقض، وكل الأسئلة المتعلقة به"⁴، وبالتالي كان لابد من ظهور الأدب النسوي ليحقق هذا التوازن في المجتمع.

ومن بين الكاتبات الجزائريات اللواتي أيدن هذا المصطلح ووافقن عليه ما جاءت به "ربيعة جلطي" حينما حاولت ترسيخ التفوق للمرأة حين قالت: "لم يعد يعجبني ما يملأ الرّفوف، لم يعد يطفئ عطشي وفصولي، ورغبتني في البحث الدائم عن الجمال والتجاوز في ما يُكتب، وكم عانيت من تهميش الكوكبة التي كانت تكتب تحت أعلام أيديولوجية رفاقة"⁵، فقد عبرت "ربيعة جلطي" عن شغفها في تقديم كل ما هو جديد ومختلف عن الكتابات السائدة في عصرها.

2.3 التيار الراض للمصطلح:

إن من سمات هذا التيار أنه يتميز بالسرعة في رفض المصطلح منذ بدايات طرحه للتداول؛ نظرًا للحساسية الخاصة التي ولدها عند الجيل الذي استطاع أن يكرس حضوره الإبداعي وشهرته الأدبية، فبعض هؤلاء الكاتبات رفضن مصطلح "الأدب النسوي" وداعين إلى مواجهته؛ ومن رافضي هذا المصطلح نذكر "غادة السمان"، فعلى الرغم من الشهرة التي حققتها من خلال أعمالها التي عبرت فيها عن

تمرد المرأة على الواقع الاجتماعي والثقافي القائم وعلى سلطة المجتمع الأبوي وتقاليدته المختلفة التي تحول دون تحرر المرأة وانطلاقها، وتعبيرها عن ذاتها ومشاعرها وهواجسها بحيث لعبت المرأة دور البطلة في قصصها ورواياتها المختلفة، وكانت واضحة في تعبيرها عن قهرها وعذاباتها، وتوقها وأحلامها واكتشافها لجسدها⁶، وتعد الحديث عن أدب نسوي هو حديث خاطئ ومفتعل لقضية الأدب كما أن المرأة تستخدم سلاح أنوثتها من أجل ترويح كلماتها في مجتمع مكبوت تاريخياً.

من بين الأدبيات الجزائريات اللواتي اتبعن هذا التيار الرافض مثل: زينب الأعوج، وربيعة جلطي وإلهام بورابة، وحياة غمري، ونصيرة بن ساسي، وأحلام مستغانمي، وقد أجمعن على أنه ليس هناك أدب رجالي وآخر نسائي⁷، وقد رفضوا هذا المصطلح لما يعتليه من عنصرية وتمييز بين المرأة والرجل.

2.3. التيار المحافظ:

هذا الرأي يتوسط التيارين السابقين، ومن يمثل هذا الاتجاه الكثير من الكاتبات والنقاد نذكر من الأدبيات والكاتبات الجزائريات "زهرة ونيسي" التي ترى أن الكتابة رسالة يقوم بها الرجل والمرأة على حد سواء وذات طابع إنساني، وأن صلته بالمجتمع جد وطيدة، ولا يحتكره جنس على آخر؛ لأن "هذا الأدب يقوم على جوهر إنساني دون أن تدخل فيه الأنوثة أو الذكورة، فهو يبحث عن التزاماتها ليضيف التزاماً آخر ينتصر به على أعداء المجتمع أياً كانوا"⁸، فهي تكافح من أجل أن تتاح للمرأة الفرصة حتى تتعلم وتتقن مثلها مثل الرجل، وبالتالي جاء هذا الرأي ماسكاً العصا من النصف بحيث نجده يقر من ناحية بخصوصية التجربة التاريخية والاجتماعية التي عاشتها المرأة وجعلها أسيرة شرطها، ومن ناحية أخرى يرفض أن تكون هذه الخصوصية ميزة لاصقة بالمرأة وتشكل محددات للأدب الذي تكتبه المرأة.

4. الأنا الأنثوي والآخر الذكوري في الرواية:

تُكرس الطيبية الروائية سديمية القدر الجاثم الذي يعطل مشاريع الحياة لتكشف عن مواطن الضعف في حياة مجتمعية مقيّنة تعج بالمتناقضات السافرة هادمة كافة النظريات التي شيدتها العقلية الذكورية حول العهر وبيع المتعة والتي ظلت تنتظر للمرأة فقط على أنها أداة هذا الفعل المشين في حين يغدو الرجل مشروعاً جنسياً يغذيه شبح البطالة.

إن الجنس هو الضّلَع الثالث المحرم الذي اقتحمته الكاتبة العربية بكل جرأة فتعددت صوره وأشكاله واختلّفت وظائفه التعبيرية بين كونه وسيلة في حد ذاته أو غاية يتم بها بناء النّصوص الروائية لتسويقها وعرضها في أسواق الغرائز والشهوات، فهناك العديد من الروائيات العربيات اللّواتي كتبنَ بخصوص هذا الموضوع أمثال: نوال السّعداوي، حنان الشّيخ، سحر خليفة، غادة السّمان، فاتحة مرشيد، غالية ممدوح، ليلي الأطرش، فضيلة الفاروق، مليكة مقدم وغيرهن كثيرات.

قد اختارت الروائية عنوان "مخالب المتعة" لتعبر عن دهايز النفس الإنسانية من خلال مائة وخمسة وخمسين صفحة لتضعنا أمام مفارقة غير مسبوقة إثر تقديم لوحة صادمة من الواقع، تفصح فيها عالماً خفياً ينفّث على موضوع البغاء الذكوري لتكسر طوق الفكر المألوف في المجتمع العربي من خلال تجاوز الظروف السوسيو ثقافية واستنطاق المسكوت عنه واختراق دوائر المحرّم، فقد جاء عنوان "مخالب المتعة" عنواناً محرّضاً على القراءة، ويشكل في جوهره مدخل هذه الأهمية بما يحمله من امتداد يقفل دلالة العنوان على مركب إضافي: مضاف جمع نكرة "مخالب" مفردة مذكر "مخلب" دال على القساوة والعنف، و"المتعة" مضاف إليه مفرد مؤنث معرف يدل على النّعومة، وبإضافة ما هو سلبي إلى نقيضه تنشأ المفارقة، فالإفراط في المتعة يولد النّدم، وهو ما يستبعده التصور الذي تقدمه الروائية من خلال مقولة سقراط "السعادة هي المتعة من غير ندم"، والذي يختزل فيما يختزل

جانبا مركزيا روائيا لمعاني الرواية برمتها يبدأ بتصدير الروائية روايتها بهذه العبارة لتحذر القارئ من الانسياق وراء المتعة التي قد تخدشه بمخالبها فتوجعه وتترك آثارها التي لا تُمحي.

نلاحظ أن الرواية غلبت عليها فكرة التحرر الجنسي، والمقصود به هنا في هذه الرواية هو تقبل ممارسة الجنس خارج العلاقات المشروعة أي خارج نطاق الزواج، وهذا الأمر بطبيعة الحال يؤدي إلى ظهور مشاكل أخرى في المجتمع كالعري في الفضاء العام والإجهاض، المواقع الإباحية، المثلية الجنسية... وغيرها، إن العلاقة الجنسية بين الأنا الأنثوية والآخر الذكورية أو الرجل والمرأة في منزلة دونية، فهي تباع وتشترى وهذا أدى إلى تغيير النظرة إلى الحب والجنس والحياة وكل هذا يندرج ضمن العمل اللاأخلاقي.

فعلى الإنسان أن تكون له طموحات وأمنيات وتغييرات ولكن بالانسجام مع مبادئه الثابتة وهذا ما هو غائب بشكل واضح عن سلسلة مخططاته في سبيل تحقيق الحرية التي يحاول التحرر من قيودها من خلال هذه الرواية، إذ تعتبر الممارسات الجنسية بين الشخصيات الروائية سلوكيات غير أخلاقية والتي تظن أنها ضرب من التحرر، فهي تحاول أن تتمرد بسبب الظلم الذي ذاقته مرارته، وهذا ما حدث مع "ليلى" عشيقة "عزيز" التي لجأت إلى ممارسة الجنس معه هروبا من واقعها وظروفها التي أجبرتها أن تكون على ما هو عليه الآن، فلقد قررت أن تعيش وليس أن تحيا لأن الحياة تتطلب الاستسلام للحب وهي لا تريده كي لا تشعر بالضعف في يوم من الأيام، فحاربه بكل قواها كي لا يقوم أي شخص مهما كان باستغلال عواطفها، فانغمست في ممارسة الجنس كي تحصل على المتعة وهي توهم نفسها بأنها مسؤولة عن نفسها ومصيرها بيدها⁹، فلقد لجأت "ليلى" لممارسة الجنس مع العديد من العشاق ومنهم بالطبع "عزيز" -الشاب الوسيم- وقد اعتبرت ذلك وسيلة وغاية

للتهرب من الحب والحفاظ على استحقاقاته في الحياة فهي لا تريد أن تقع فريسة لأي حب فيستعبد بها من أحبت ويذلها ويبتزها.

أما "بسة" فهي مثال للمرأة المتعفة الزاهدة بالجنس العاشقة للروح، فهي نقیض لیلی، إنها امرأة تحترم جسدها وتعرف كيف تضع حدًا واضحًا بين ما هو للروح وما هو للجسد، وقد أفصحت بذلك لـ "أمين" حيث أخبرته بأن الحياة لا تعطي للإنسان كل شيء وكل ما يريد، فوضعت أمام الواقع بأن له الحب دون الجنس على خلاف صديقه "عزيز" الذي حصل على الجنس من قبل "ليلى" دون حب¹⁰.

كما نجد في الرواية قصص أخرى عن ممارسة الجنس خارج الزواج مثل صديقات "ليلى" اللواتي يعن أنفسهن لـ "عزيز" مقابل الحصول على المتعة، وأيضًا بالنسبة لفتيات الحانات اللواتي يأتين إلى هناك من أجل ممارسة الجنس والحصول على المتعة، وينطبق كذلك على الفتاة "ميمي" المغرمة بـ "عزيز" والتي تقضي معظم وقتها في الحانة تلبية لرغبات الزبائن¹¹.

إن رواية مخالفات المتعة تحكم المنظومة التعليمية وتنتقد وتؤثر على فشلها الذريع بما أنها تستقبل الملايين من الطلاب سنويًا بدون أفق يضمن لهم كرامتهم عند تخرجهم، حيث أن معظم المتخرجين ورغم امتلاكهم لشهادات عليا يصطدمون بسوق العمل، وحتى إن عملوا فلا علاقة لتخصصاتهم الجامعية بمناصبهم التي يشغلونها وهذا ينطبق على "عزيز" و"أمين" و"مصطفى" المذكورين في الرواية.

تنطلق الرواية من قصة شاب مغربي "أمين" بوصفه ساردًا وشخصية محورية في دينامية التخيل الروائي يقضي أيامه في المقاهي هربًا من نظرات أم ترمقه بعينيه الملتهبتي كل صباح لتقول في صمت: "تحركوا ترزقوا"¹²، وأخت تتصرف معه بشهامة وتدس المال في جيبه خلسةً تقاديًا لإحراجة ولولاها لما تمكن

من دفع ثمن فنجان قهوته، وتأتي المفاجأة يوم يلتقي بزميله "عزيز" الملقب بـ "الجبغولو" أو "البوكوص" والذي لا تتناسب أناقته المفرطة مع وضعه الاجتماعي، فيقول "أمين": "أن تكون عاطلاً عن العمل فأنت حتماً عاطل عن الحب.. عاطل عن الحياة"¹³، فـ "أمين" بعد دراسته للتاريخ والجغرافيا لم يجد وظيفة في هذا التخصص ووجد نفسه أمام شبح البطالة الذي يطارده، فهو كل صباح يهرب من نظرات أمه إلى المقهى بعيداً عن عيون الناس ويعتمد في هذا على المصروف الذي تدسه له أخته كل صباح في جيب سرواله كي لا تخرجه، فيتفحص الإعلانات الموجهة للعاطلين ليجد بأنها تبحث عن خريجي الاقتصاد والإدارة وغيرهم ولا مكان لمن درس التاريخ والجغرافيا، وهنا يكتشف بأنه قد ارتكب خطأ في دراسته لهذا التخصص، فدراسة الجغرافيا الآن لا قيمة لها وهذا يرجع إلى أننا في عصر محو الحدود فكبسة واحدة وبالضغط على الأزرار نستطيع عبور كل المحيطات، كما أن الجغرافيا لا نفع لها إذا لم يستطع الإنسان اختيار جغرافية تناسبه أكثر، وهذا ينطبق أيضاً على دراسة التاريخ فهو لا يسمح بأدنى دخيل كما أنه هو الذي يختار الأبطال الذين يخلدهم وينسى الباقين¹⁴.

وجد "أمين" لدى صديقه "عزوز" الشغل الذي سينقل به إلى حياة أخرى، فنقول الكاتبة على لسان "عزوز" "لا توجد دراسة غير مجدية، المهم أن توظف معلوماتك، وتعرف كيف توجهها التوجيه الصحيح... مثلاً أن توجهها نحو تاريخ النساء وجغرافيتهن. ياسلام على جغرافية النساء: هضاب ووديان وجبال وسفوح ومغارات.. ما كنت لتتخيلها، لا توجد في أي من المراجع التي سهرنا الليالي في ازديادها... يا حسرة على الزمن الضائع!"¹⁵، في هذه العبارات رد "عزوز" على تعجب صديقه "أمين": "ما هذا الشغل الذي يقدر التاريخ والجغرافيا إلى هذا الحد؟"¹⁶.

كذلك فإن الأمر ينطبق على "عزيز" فهو الآخر قد درس نفس التخصص ولم يحصل على وظيفة في هذا المجال فقام بالسفر إلى ألمانيا ليلتحق بفتاة أغرمت به وكان ينوي الزواج بها بهدف الحصول على أوراق الإقامة بألمانيا، ولكن مشروعة فشل بسبب علاقته مع شقيقتها فأضطر إلى العودة إلى المغرب وبدأ رحلة البحث عن عمل، إلى أن جاء اليوم الذي كان فيه في أحد المقاهي يقلب الجرائد، فتقدمت نحوه امرأة جميلة وجلست بجانبه وبدأت تسأله عن طبيعة شغله ودعته لشرب الخمر حتى وجد نفسه في الفيلا خاصتها ومر كل شيء بسرعة التعارف والتحدث وممارسة الجنس، وعند مغادرته لمنزلها أعطته مبلغ مالي مقابل لما فعله معها وطلبت منه أن يشغل عندها في هذا المجال فلها المتعة وله المال¹⁷.

من هنا بالذات تُطل الكاتبة على واحدة من أكبر المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع المغربي، وهو موضوع التعليم وما يعتريه من فساد على مستوى البرامج والمناهج والتوجهات، فالتعليم والشهادة التي حصل عليها "أمين" وكذلك أصدقائه لم تنفعه في أي شيء، لذلك فهو عاطل عن العمل ينتظر أن يشغل "عاهراً" عند نساء يمتلكن المال، وهذا ما فتح الطريق أمام الكاتبة لتضع هذه القضية على السطح، فنقول على لسان "رشيد" "إن المقررات الدراسية لا تضع نصب أعينها المستقبل المهني للطالب. ولا تؤهله إطلاقاً لخوض معركة التشغيل؛ وأنا أحسن مثال على هذا. برامج تقتل ما تبقى من روح المبادرة... لذا أنت تنتظر الوظيفة الحكومية. تنتظر مكتباً تشيخ وتموت على كرسيه بعد أن يغشاك غبار الملفات والسجلات الإدارية... إدارتنا الطاغية في الرتبة لا هي قادرة على استيعاب ما تراكم من الماضي، ولا على تجديد يفرضه الحاضر، لهذا على الشباب أن ينسى الوظيفة الإدارية، ويُعانق المبادرة الفردية وخلق فرص المقاولات الخاصة"¹⁸.

إنه حديث الساردة التي تعيش مشكلات بلدها وتحتك بها، ولها موقف مما يحدث في هذا البلد؛ لهذا تنتقد رتابة الإدارة المغربية وعجزها عن تجديد نفسها بطريقة تضمن استمرار الماضي بأهله ومواكبة الحاضر بشبابه العاقل عن العمل، ومن هنا تبقى البادرة الفردية والمقاولة الخاصة أحد الحلول؛ للخروج من هذه المشكلة، على الأقل بالنسبة لهؤلاء الشباب الضائع في متاهات الواقع المرير. إنَّ الأسلوب الذي تكتب به الكاتبة سردها أسلوب مخالف لكثير من الساردات المغربيات المعاصرات، إذ تعمل من حين لآخر على توقيف السرد لتفسح المجال لمواقفها من قضايا المجتمع والإنسان في البلاد. فهي لا تترك قضية من القضايا التي أثارتها في "مخالب المتعة" دون أن تدلي برأيها فيها؛ إنه السرد لأجل إيصال خطاب ورسالة مباشرة إلى المتلقي.

ولكن ما هذا الشغل الذي يتحدث عنه "عزوز" ليس هو طبعاً الجري وراء المراهقات الصغيرات، كما قال: "أنا لا أكلمك عن حب المراهقات اللواتي ينتظرن منك أن تؤمن لهن تذكرة سينما وساندوتش ماك دونالد مقابل رسائل حب ودموع لا تسمن ولا تُغني من جوع. أنا أتكلم عن النساء الحقيقيات، صاحبات العطاءات من غير حساب"¹⁹. إنه شيء آخر سيعلم عنه "عزوز" لصديقه "أمين" في لقائهما الثاني بالمقهى بعد غد. إنه الشغل المرتبط ببيع اللذة للنساء؛ بمعنى أن هنالك نساء في حاجة ماسة إلى المتعة الجسدية، وهن يطلبنها من الرجال، ويدفعن مقابل ذلك مالا وفيرا؛ تقول الكاتبة على لسان "عزوز": "أنا بائع المتعة...؟؟ أهذه طبيعة العمل الذي تعيش منه وتقترحه علي... تريدني أن أشتغل عاهرة؟ لا تبالغ يا أخي، كيف تقول هذا وأنت الرجل، أتخاف على شرفك؟ أنت الرجل... أتفهم ما معنى الرجل؟ لن يعيب عليك أحد، أنت تعطي المتعة وتستمتع بدورك، وتتقاضى أجرا لا يستهان به... أتريدني أن أبيع جسدي؟... معذرة إن كنت قد جرحت كرامتك. لكن أعلم أنك

لن تكون أول ولا آخر من تقاضى أجراً على متعة. ما رأيك في الأزواج الذين يعيشون عائلة على زوجاتهم؟ أليست هذه دعاة مشروعة؟²⁰.

هذا تنظير من نوع ثان تأتى به الكاتبة على لسان بطلها "عزوز" أو "عزيز" تعمل من خلاله على إمطاة اللثام على واحدة من القضايا المسكوت عنها في مجتمعاتنا الإسلامية قاطبة؛ إنها قضية طبقة من النساء الثريات اللواتي يشتريهن اللذة الجنسية التي يفقدنّها عند أزواجهن؛ إما لانشغال هؤلاء عنهن بالعمل والسفر المتواصل المتكرر الطويل، وإما للضعف الجنسي الذي يعاني منه هؤلاء الرجال الأثرياء الذين يتزوجون من مراهمات في سن الزهور ولا يقدرن على تلبية رغباتهن الجنسية والهائجة.

لذلك وجدنا كثيراً من النساء، وقد كبرن مع زوج لا شأن له بحياته الجنسية ورغباتهن الجسدية، يخرجن بحثاً عن شاب يُشفي الغليل من هذه المتعة؛ فكان "عزوز" و"أمين" وغيرهما من هؤلاء الشباب يؤدون هذه الوظيفة الجديدة في مقابلة النساء، والكاتبة إذ تنثر هذا الموضوع الذي انبنت رواية "مخالب المتعة" على أساسه، إنما تواصل مقصد كثير من الساردات المغربيات المعاصرات؛ وهو كسر جدار الصمت وإرساء دعائم لغة البوح في مجتمع عان الويلات من لغة الكتمان ووضع السبابة على وسط الفم في إشارة معروفة دالة على التزام الصمت وعدم التلطف بكلمة الآخرين.

إن الرواية مؤسسة على المفارقة بين اللذة الحسية والمتعة المعنوية أي مقابلة بين حب تولد عن المتعة فُؤل "عزيز" وألحق به العذاب الأبدي بعد اقترافه جرم القتل في حق عشيقته "ليلى"²¹، وحب نابع من القلب رفع من شأن "أمين" وخلق توازناً نفسياً بل قد يُمكنه من تجاوز مشكلته في العمل بعد أن غادرته "بسمة" مخلفة وراءها رسالة وداع وتوصية شغل من ناحية²²، ومن ناحية أخرى يبدو حب "ليلى"

سبباً في مفارقتها الحياة في حين يظهر حب "بسمه" منقذاً لها بحيث أعادها إلى الحياة، كيف لا وهي التي عرفت كيف تضع حداً فاصلاً بين ما هو روحي وما هو جسدي رغم انفرادها بحبيبها في غرف الفنادق مصرحة بذلك بقولها: "لا بد أن أشرح لك وجهة نظري: أنا أفضل غرف الفنادق لأسباب أمنية إن صح التعبير. لا أبحث عن الجنس ولن أمارسه مع أحد غير زوجي، لكنني أحتاج إلى صديق.. إلى أذن صاغية.. إلى كتف حنون.. إلى عاطفة سامية كي لا أموت حزناً"²³.

في نهاية الرواية انقلب حال البطلين "أمين" و"عزيز" رأساً على عقب حيث ظهر "أمين" في بداية الرواية بمظهر الشاب الخاضع لسطوة اللا جدوى جرّاء عيشه عالة على أخته التي حاولت تغطية بعض حاجاته بديهماتها القليلة التي تدرسها في جيبه كل صباح، وكذلك بعد نجاحه في الدراسة مقابل فشله الذريع في الحياة تفتتح أمامه في نهاية المطاف إمكانية الحصول على وظيفة بعد توصية العمل التي خلقتها له حبيبته "بسمه"، أما "عزيز" والذي بدا مرتاحاً في وضعه كمُمتّع نساءً بارع وجالباً للبهجة، تحولت مُتعتته تلك إلى نكسة زجّت به في السّجن، فانقلب حاله من شخص متقن لفنون الغواية إلى شخص ممارس للعنف، كما أنه بعد أن كان "عزيز" سبباً في دخول "أمين" عالمًا كان يجهله من قبل "عالم الدعارة الذكورية" كان هو نفسه سبباً في خروجه منه بعد أن أفسد عليه متعته الروحية وفرق بينه وبين "بسمه" التي عجلت هجرتها إلى كندا بعد مقتل صديقته "ليلي".

أما شخصية الرسّام "إدريس" فهي تظهر بمظهر النقيض التام لشخصية "عزيز" حيث أن "إدريس" كان زاهداً في حبه، حرّم على نفسه حبّ الجنس اللطيف باستثناء "بلقيس" -الفنّانة العراقية التي تركت العراق أيام النكبة ثم عادت مع زوجها لتسهم في بناء عراق ما بعد التّغيير²⁴- التي ملكت رغم رحيلها فؤاده وفكره، فظل يرسمها كل ليلة وكأنه نذر نفسه لعبادتها في حين يعرض "عزيز" جسده لمن تدفع له

مقابل المتعة الجنسية، وهنا يظهر المال دافعاً رئيساً لوضعية العشيق الأجير والذي يتطلب معه امتهان هكذا مهين إتقاناً لقواعدهما بالدرجة الأولى.

5. خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن الأنا الأنثوية والآخر الذكوري في رواية "مخالب المتعة" وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وهي:

- تُعد إشكالية مصطلح الأدب النسوي من أكثر الإشكاليات جدلاً في الوسط الأدبي والنقدي العربي نظراً لغموضه وعدم الاجماع على مفهومه باعتباره مصطلحاً يحمل المرجعية الغربية، بالإضافة إلى تعدد الأحكام النقدية عليه دون الإلمام بتاريخه ومدلولاته.
- لقد استطاعت الكاتبة أن تغوص في قلب المشكلة الاجتماعية التي تعاني منها هؤلاء النساء اللواتي يستعملن نقود أزواجهن في اقتناء اللذة التي لم يستطع هؤلاء توفيرها لهنّ، فهو نظام المقايضة بين الزوج والزوجة في مثل هذه الطبقة من الناس.
- تبين فشل المنظومة التعليمية في دولة المغرب حيث نجد الآلاف من المتخرجين دون عمل وإن اشتغلوا فذلك في وظائف لا علاقة لها بتخصصاتهم الجامعية وهذا ما ينطبق على معظم الدول العربية.
- عالجت "مخالب المتعة" موضوع دعاة الرجال بلغة راقية وجرة أدبية في الوقت الذي يرى فيه البعض أن الخوض في هذا الموضوع ملتصقاً بالنساء ومحرم أن يتحدث فيه.
- تؤكد الروائية على أنّ الإنسان يجب أن يتجرد من كل القيود التي تُكبّله كي يفتح فكرياً ويغوص في قضايا المجتمع الراهن.

- توصي الروائية المسلم ومن خلال تدخلاتها على لسان شخصياتها أن يرجع إلى دينه ويبتعد عن ارتكاب الفواحش والموبقات التي تكون عاملاً أساسياً في عيش الإنسان حياة قاسية ومؤلمة.
- إن رواية "مخالب المتعة" نص يحتاج إلى مزيد من الوصف والتأمل من منظورات تحليلية مختلفة وهو ما يمكن أن يقوم به دارسون آخرون بهدف الكشف عن دلالاته العميقة ومعانيه الخفية.

5- الهوامش والإحالات:

- ¹رياض القرشي، النسوية في قراءة الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضر موت للدراسات والنشر - اليمن، ط01، 2008، ص: 25
- ²سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية- دراسات ومعجم نقدي، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، مصر، 2002، ص: 13
- ³مفيد نجم، "الأدب النسوي- إشكالية المصطلح"، مجلة علامات في النقد، السعودية، مج57، ع15، السعودية، سبتمبر 2005، ص: 165-166
- ⁴رفيق صيداوي، الكاتبة وخطاب الذات- حوارات مع روائيات عربية، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2005، ص: 122
- ⁵ربيعة جلطي، "كتبت رواية الذرة لأني لم أعد أجد ما يعجبني على الرفوف العربية"، حوار مع جريدة النصر، قسنطينة الجزائر، يوم 27 سبتمبر 2010.
- ⁶مفيد نجم، "الكتابة النسوية- إشكالية المصطلح التأسيس المفاهيمي لنظرية الأدب النسوي"، مجلة نزي، مؤسسة عمان للصحافة والأثباء والنشر والاعلان، ع42، أبريل 2005، ص: 87-88
- ⁷يوسف وغيلسي، خطاب التأنيث- دراسة في الشعر النسوي الجزائري، منشورات جسر- الجزائر، ط01، 2003، ص 31.

⁸ زهور ونيسي، على الشاطئ الآخر، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1988، ص:

15

⁹ فاتحة مرشيد، مخالب المتعة، المركز الثقافي- الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2010،

ص: 152

¹⁰ المرجع نفسه ص: 67

¹¹ المرجع نفسه ص: 37، 38

¹² المرجع نفسه ص: 7

¹³ المرجع نفسه ص: 7

¹⁴ المرجع نفسه ص: 7، 8

¹⁵ المرجع نفسه ص: 9- 10

¹⁶ المرجع نفسه ص: 9

¹⁷ المرجع نفسه ص: 14- 26

¹⁸ المرجع نفسه ص: 45- 46

¹⁹ المرجع نفسه ص: 10

²⁰ المرجع نفسه ص: 17- 18

²¹ المرجع نفسه ص: 141

²² المرجع نفسه ص: 155

²³ المرجع نفسه ص: 67

²⁴ المرجع نفسه ص: 109